الحملة العثمانية على منطقة عسير (1288-1289هـ / 1871-1872م)

أ. جملاء حجاب البيشي - محاضر قسم التاريخ - جامعة بيشة

هدفت الدراسة إلى تتبع الحملة العثمانية على عسير، والعوامل الداخلية والخارجية التي ساعدت على نجاحها، مع عرض لأبرز النتائج المترتبة على ذلك، وهي محاولة للكشف عن أسباب سقوط منطقة عسير عندما أرسلت الدولة العثمانية حملتها عليها، وقد قمت بتقسيم الدراسة إلى أربعة محاور:

المحور الأول:

مدخل للدراسة، بدأته بمقدمة جغرافية عن منطقة عسير وقبائلها، وكذلك لمحة تاريخية عن المنطقة قبل الحملة العثمانية، والخلافات الداخلية في المنطقة قبل الحملة العثمانية.

المحور الثاني:

وقد اشتمل على العوامل الداخلية والخارجية التي شجعت العثمانيين على إرسال الحملة، وأهمية عسير بالنسبة للدولة العثمانية.

المحور الثالث:

وقد أوضحت فيه دور القوى المحلية في إنجاح الحملة، ومواقف المشايخ من الحملة، ثم خط سير الحملة في منطقة عسير حتى وصولها ريدة، والقضاء على ابن عائض وإمارته.

المحور الرابع:

وقد أوضحت فيه نتائج الحملة على عسير، وتحولها إلى متصرفية عثمانية، وتناولت باختصار أوضاع المنطقة.

وكان اختيار هذا الموضوع لإلقاء الضوء على الأوضاع في عسير قبل مجيء الحملة العثمانية، وكذلك لأسباب منها:

1. أهمية الحملة وكونها استطاعت تحقيق هدفها وسيطرت على عسير.
2. ما وصلت له إمارة عسير من نفوذ في ذلك الوقت؛ مما جعل الدولة العثمانية تسعى جاهدة للتخلص منها.
3. محاولة للكشف عن أسباب سقوط منطقة عسير.

وكان الهدف من هذه الدراسة كشف اللثام عن بعض الأحداث في تلك الفترة، وإعطاء صورة واضحة عن أحداث تلك الحملة، وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج التاريخي

المتمثل في جمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع من مصادرها الأصلية، والقيام بتحليل ونقد تلك المصادر نقداً منهجياً، ومحاولة استخلاص الحقائق التاريخية التي تخدم الدراسة. وقد بينت الدراسة قوة الأمير محمد بن عائض والتي أغرته بمهاجمة ولاية الدولة العثمانية، والأوضاع الداخلية في منطقة عسير قبل مجيء الحملة والتي شجعت العثمانيين على إرسال تلك الحملة، وأن المواجهات كانت بين حكام عسير والدولة العثمانية منذ البداية، والخلل الذي اعترى تنظيمات جيوش ابن عائض والذي أدى في نهاية الأمر لهزيمتها.

Ottoman campaingn on Asir

The study aimed to follow the Ottoman campaingn on the Asir and the internal and external factors that helped its success, with a presentation of its most important consequences. This is an attempt to find out the causes of the fall of the Asir region when the Ottoman Empire sent its campaign on it.I divided the subject into four axis. The first axis is an introduction to the study which began with a geographical introduction to Asir region and its tribes. Also included historical overview of the region and internal problems in the region before the campaingn. The second axis included the internal and external factors that encouraged the Ottoman empire to send the campaign, and the importance of Asir for the ottoman Empire. The third axis, which explained the role of local forces in the success of the compaign and the positions of the sheikhs of the compaign, I also included the process of the compaign in the region of Asir until the arrival of Rida and the elimination of the ebnAa'id and his banner. The fourth axis, I explained the result of campaign on Asir and its turned into an Ottoman Muthasrafiya. I also discussed its administrative, political, military, and economic conditions. Finally then I talked about the evacuation of the Ottomans from Asir. turning I mentioned the result of the study.

The aim of this study was to unveil some of the events in that period and to give a clear picture of the events of that campaign , In this study, I followed the historical method of collecting the relevant scientific material from its original sources systematically, And try to extract historical facts that serve the study. The study showed the strength of prince Muhammad bin Ayed, who lured him to attack the state of the Ottomans Empire, And the internal situation in the Asir region before the advent of the campaign, which encouraged the Ottomans to send that campaign, And that the confrontations were between the rulers of Asir and the Ottoman Empire from the beginning, the defect in the organizations eventually its defeat.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

كانت الدولة العثمانية منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي قد تغيرت الظروف لصالحها؛ وذلك لعدة أسباب، منها الإدارة المركزية المباشرة لولاياتها من قبل الأستانة، ظهور ثمرة التنظيمات السياسية والعسكرية والإدارية لها، وكذلك فتح قناة السويس وتحول البحر الأحمر إلى أهم طريق يربط الشرق بالغرب، وتنافس الدول عليه مع الدولة العثمانية[1].

وعسير منطقة استراتيجية الموقع تصل اليمن بالحجاز، وهذا أضفى عليها ميزات تجارية وسياسية واجتماعية مهمة، وكانت مطمع لكثير من الدول التي تنافست للسيطرة عليها كان من ضمنها الدولة العثمانية، وقد أرسلت الحملات إلى منطقة عسير، والتي رفضت الاستسلام والخضوع للغزاة، واستطاعت مقاومة تلك الحملات المتكررة، رغم محاولات الدولة العثمانية التي لم تنقطع، وكان من الحملات التي أرسلتها الدولة العثمانية لبلاد عسير الحملة التي قادها الفريق محمد رديف باشا عام(1288هـ/1871م).

وقد تضافرت عدة أسباب دفعت بالدولة العثمانية لإرسال هذه الحملة، كان منها تزايد نفوذ الأمير محمد بن عائض، وكثرة الوشايات في حقه، وهجومه على الحديدة مركز العثمانيين في اليمن، بالإضافة لأهمية منطقة عسير في الربط بين الحجاز؛ حيث الأماكن المقدسة، واليمن خط الدفاع الأول عن هذه المقدسات على مدخل البحر الأحمر الجنوبي.[2]

وقد جهزت الدولة العثمانية حملة ضخمة مجهزة بأحدث الأسلحة، والعتاد للسيطرة على بلاد عسير، وقد قاوم أهالي عسير هذه الحملة بكل شجاعة، واستبسلوا في الدفاع عن بلادهم، لكن الفارق في التسليح، كان له أثره في قلب موازين المعركة، وجعل النصر لصالح العثمانيين الأحدث تسليحاً، بالإضافة لكثير من الأسباب التي أضعفت العسيريين، ومنها إنهاك الجيش بعد حصار الحديدة، وتعاون بعض أهل المنطقة مع العثمانيين ضد ابن عائض، حتى كانت معركة ريدة، والتي قضت على إمارة آل عائض، وقتل فيها الأمير محمد بن عائض وبعض أقاربه، وأرسل مجموعة كبيرة من أقاربه وجنوده إلى استانبول.

لمحة جغرافية وتاريخية عن منطقة عسير:

عرفت منطقة عسير في الماضي باسم «جرش»[3]، وأيضاً باسم «السراة»[4]. وقد صرح الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» باسم عسير لأول مرة[5]. ويؤكد النعمي أن اسم عسير منسوب إلى أحد ساكني المنطقة من العدنانيين[6]. ويذكر محمود شاكر أن هذا

الاسم اطلق فيما بعد على عدد من القبائل المتحالفة في المنطقة[7] وهي: «بنى مغيد»، «علكم»، «بنى مالك»، و»ربيعة ورفيدة»[8].

وإذا كانت المصادر المعاصرة والمراجع الحديثة قد أكدت على أن منطقة عسير تقع في الجهة الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية، وتشمل مناطق واسعة من تهامة وجبال السراة وسفوحها الشرقية – إلا أنها اختلفت في تحديد حدودها، فمنها ما حدّها بحدودها الجغرافية الطبيعية المتميزة بوعورة تضاريسها، ومنها ما جعلها تمتد بامتداد القبائل التي انتسبت إليها، ومنها ما ربط اتساع رقعتها الجغرافية، أو انكماشها وفقاً لمدى قوة النظام السياسي الذي يحكمها أو ضعفه[9].

فيشير هاشم النعمي إلى أن قبائل عسير انتشرت في منطقة امتدت من بلاد بللحمر، ومحائل شمالاً إلى بلاد قحطان ودرب بنى شعبة جنوباً، ومن بلاد شهران شرقاً إلى ساحل البحر الأحمر غرباً، حيث تعيش داخل حدود سلسلة جبال السراة الممتدة من ثقيف بالطائف شمالاً وحتى تخوم اليمن[10]، أما البركاتي فيرى أن الحدود السياسية لمنطقة عسير تمتد من زهران و دوقة شمالاً إلى صعدة وجنوب أبي عريش جنوباً، ومن وادي بيشة شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً[11]، ومهما يكن من أمر، فإن الحدود الجغرافية لعسير تشمل المنطقة الواقعة بين الحجاز شمالاً، وبلاد اليمن جنوباً، ومن نهاية السفوح الشرقية لجبال السراة شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً[12].

وعلى الرغم من وضوح التقسيم الإداري لمتصرفية عسير التي تبعت ولاية اليمن خلال العصر العثماني، واشتمالها على مركز المتصرفية في أبها وست قائمقاميات هي: غامد، ورجال ألمع، وبني شهر، والقنفدة، وصبيا وجازان وأبو عريش[13]، إلا أن الدولة العثمانية كانت تضطر في أحيان كثيرة وتحت الضغوط السياسية والأمنية والاقتصادية المختلفة لضم بعض مناطق عسير الحدودية إما إلى ولاية اليمن، أو إلى إمارة الحجاز[14].

وتتنوع مظاهر السطح في منطقة عسير ما بين جبال وهضاب وسهول، حيث تشتمل على منطقتين جغرافيتين أساسيتين هما: تهامة والسراة. أما منطقة تهامة فتمثل منطقة السهول الساحلية على طول ساحل البحر الأحمر حتى جبال السروات[15]. وتتنوع تضاريس هذه المنطقة بين جبال تهامة التي تشمل جبال فيفا، وبني مالك والريث في الجزء الجنوبي، وجبل قيس وغيره بمنطقة رجال ألمع بالقسم الشمالي، وأوديتها التي تمتد من الجنوب إلى الشمال منحدرة إلى البحر، وسهولها الساحلية التي تفصل بين جبال تهامة والبحر الأحمر[16].

أما السراة فهي منطقة جبلية إنكسارية، تنحدر بشدة نحو تهامة، بينما تنحدر بتدرج نحو الغرب، ولا يمكن ارتقاؤها من الغرب إلا عن طريق عقبات أشهرها عقبة شعار وتنومة[17].

وتقع على سفوح جبال السراة الشرقية هضبة عظيمة نشأت عليها مدن عديدة منها طريب والعرين وتثليث[18].

وعلى الرغم من أن منطقة عسير، بوعورة جبالها الشاهقة، تمثل حدوداً طبيعية تفصل بين اليمن وبلاد الحجاز، إلا أن تنوع تضاريسها بين الجبال والسهول والوديان والهضاب ووفرة أمطارها الموسمية واستقرار أهلها في مختلف مناطقها ومعرفتهم بمسالكها – جعلها تتمتع باستقلالية تميزها عن كل بلاد اليمن.

الجغرافيا البشرية لمنطقة عسير:

كان موقع عسير بمقوماته المتباينة جاذباً للسكان؛ لاحتوائه على بنية اقتصادية طبيعية جعلت أهله يرتبطون به، ويمارسون أنشطتهم المختلفة، ويتبادلون التجارة بسبب موقعهم بين منطقتين تجاريتين هما الحجاز واليمن، وبعض المناطق النجدية القريبة، وإطلالة بلادهم على البحر الأحمر؛ مما يجعل لها موانئ مع مدن البلاد، ومع المدن خارج الجزيرة العربية، ثم كان تباين مناخ عسير بين المناطق التهامية والسروية؛ مما وفر انتشار المزروعات المتنوعة، ووجود الثروة الحيوانية والغابية والرعوية[19]؛ مما ساعد على استقرار السكان، واختلاف أنشطتهم التي يزاولونها. على المدى البعيد ومع استقرار القبائل، وانقسامها في مناطق وأقاليم محدودة – ظهر العامل الإقليمي كمكوِّن آخر لمفهوم القبيلة اليمنية إلى جانب عامل النسب، أو الجد المشترك، هذا في المناطق التي استمرت فيها قوة النظام القبلي، أما في المناطق التي ضعفت، أو اختفت منها قوة هذا النظام فقد أصبح عامل الإقليم(الأرض والوحدة الإدارية) هو المكوِّن الأساسي، أو الوحدوي لتماسك أفرادها[20]

منطقة عسير هي مجموعة من القبائل، وقد أثرت تضاريس المنطقة وتنوع سطحها في قبائلها؛ فكانت هذه القبائل مستقلة بعضها عن بعض، بل كانت متعادية فيما بينها[21]، ومفهوم القبيلة في منطقة عسير يختلف عن مفهوم بعض الباحثين الذين يرون أن قبائل الجزيرة العربية بدوية، ويعتمدون على الترحال والرعي، والواقع هذا مفهوم مخالف عن مفهوم القبيلة في منطقة عسير، والذي يشمل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية لسكان مستقرين تمثل نسبة البادية فيهم أقل من الخمس، وتحكمهم نظرة دقيقة ومتوارثة تتمثل في التسلسل الهرمي للفئات المنتخبة من كل قرية، أو مجموعة قرى بحيث يكون الشيخ، أو أمير القبيلة على رأس ذلك الهرم[22]؛ فكان أثر التضاريس واضحاً بأن جعل أكثرية السكان حضر مستقرون، وليسوا بدو رحل؛ بسبب توفر مقومات الزراعة.

ومجتمع عسير مجتمع قبلي، وفي عسير مجموعة من القبائل أهمها: قبائل عسير السراة هي القبائل التي تحيط بالعاصمة أبها وتتفرع في كافة الاتجاهات، ومن أهم تلك القبائل قبيلة عسير بفروعها الأربعة بنو مغيد، وعلكم، وبني مالك، وربيعة ورفيدة، وكذلك قبيلة

زهران، وغامد، وشمران، وخثعم، وبلعريان، وقبائل ألمع، وقبائل رجال الحجر، وهذه القبائل منها المستقرة وهي تمارس الزراعة، والصناعة والتجارة، وغير ذلك من المهن بحسب موقع القبيلة وعاداتها الاجتماعية، ومنها الرحل والتي تمارس الرعي والتنقل وراء الماشية، ويؤثر فيها المناخ، ومنها ما يعيش على السلب[23]، وهذه القبائل بحكم موقعها في الأودية، أو في الجبال – تستطيع فرض حصار اقتصادي على متصرفية عسير، أو قطع طرق الإمدادات التي تصل للمتصرفية إذا كانوا في حالة حرب معها. وهذه القبائل ما يسكن منها في الجهات الشمالية، والشمالية الشرقية مثل غامد وزهران ورجال الحجر كانت تميل لأشراف مكة، وأما ما يسكن العاصمة أبها، أو حولها – فكانت تنجذب للعثمانيين بسبب المصالح الاقتصادية معهم، وبحكم الموقع الجغرافي لهذه القبائل، والذي يحتم عليها موالاة العثمانيين.

قبائل تهامة عسير وهي تمتد من الليث حتى وادي العين، ومن هذه القبائل ذوي حسن، وذوي بركات، و زبيد، و بلعير، وبني زيد، وبني يعلة، والمنجحة، وبني شعبة، وقبيلة بني عبس، وقبائل حلي، وبني هلال، قبائل قنا والبحر، وهذه القبائل منها المستقرة، وتشتهر بالتجارة وعمليات الشحن والتفريغ، ولديها تجارة مع الأقطار الخارجية، وتدخل الأسلحة عن طريق أهل السواحل إلى داخل بلاد عسير، ومنهم من يمارس القرصنة، ومنهم من يعمل بالزراعة والصناعة، أما القبائل الرحل فتعيش على تربية الحيوانات، وتمتلك ثروات كبيرة من الإبل والأغنام والخيول، وأهم مدنهم القنفذة، وحلي بن يعقوب، البرك، والشقيق، والوسم[24]، وتستطيع هذه القبائل منع أي اتصال للمتصرفية مع الساحل، وهذه القبائل بحكم الموقع، وبما أن أكثرها امتداد لقبائل في اليمن– ينجذب الكثير منها لحكام اليمن، كما حصل عندما ظهر الإدريسي في صبيا وانجذبت أكثرها له.

وسياسيا لا يمكن عدُّ عسير كوحدة واحدة، باستثناء النظرية العثمانية التي شكلتها ككل، فان المنطقة الفرعية الشمالية من سنجق ولاية اليمن. وفي الواقع فإنها تأتي في أربعة أجزاء مستقلة تماما وثلاثة معترف بها على التوالي، حيث كان تأثير شرفاء مكة والأتراك والإدريسي ظاهراً، والثلاثة في وقت لاحقا، كان يصعب ملاحظة أن هناك تغير بشكل دائم بسبب أن سيطرة ونفوذ واحد منهم، أو طموح الآخرين كان يتعرض للضعف، والخفوت من وقت لآخر.[25]

والواقع بلاد عسير بحكم طبيعتها الجغرافية، وكثرة قبائلها – من الصعب احتفاظ الحاكم بولاء جميع الرعايا. والعثمانيون باحتفاظهم بمراكز قوية في الداخل، وميناء يضمن لهم الاتصال بالخارج، ونفوذ دولتهم على شريف مكة الذي تحتفظ بعض القبائل بالولاء له– يجعل للدولة العثمانية نفوذاً كبيراً على بلاد عسير[26].

أما بالنسبة التنظيمات القبلية في عسير – فلم تختلف عنها في أنحاء الجزيرة العربية، ويقوم التنظيم الاجتماعي على أساس من البطون والعشائر، والتي يتعامل معها على أساس النسب والقرابة أي العصبية، وتقوم في تنظيمها السياسي على الترابط بين القبائل من أجل مصلحة، أو سياسة تجمعهم أي تحالفات، وعسير في تنظيماتها قريبة من نظم القبيلة في اليمن، وأعرافها وعاداتها، وتقاليدها، وقد انقسم المجتمع إلى قبائل(أو اتحادات قبلية)، ومنها إلى بطون وأفخاذ حتى تصل إلى أدنى تقسيم داخلي، وهو العائلة الممتدة، أو البيت، أو القرية، ومن مجموع هذا التقسيم تكون المجتمع وبالتالي الدولة. وتنتشر القبائل في جميع جهات اليمن، وتلعب العصبيات دوراً كبيراً في حياة البلاد، ومن الصعب حصر كل القبائل. كما أن هذه القبائل بالذات يتصل تاريخ بعضها بمناطق معينة، ثم يأتي غيرهم فيأخذها منهم، ويبقى منهم من يبقى ويرحل من يرحل إلى مكان آخر، أو ربما إلى خارج حدود اليمن[27].

بالنسبة للعلاقات القبلية في عسير قد يسمح لأفراد القبيلة نفسها، أو بطونها في حالة الحرب، أو السلم باختراق منطقة فرع، أو بطن من بطون القبيلة، ومن غير المسموح استقرار أفراد قبيلة ما في ديار قبيلة أخرى إلا بعد إذن وتعاهد بين الطرفين، للمحافظة على حقوق وواجبات الطرفين، ولا يسمح لأي قبيلة بمهاجمة قبيلة أخرى عبر أراضي قبيلة مجاورة، أو المرور بمواشي، أو غنائم أخذتها عنوة من قبيلة أخرى، وتحرص القبائل في عسير أن يكون لها أحلاف من القبائل المجاورة، ويكفي أن يكون هناك سمي لإحدى القبائل في قبيلة أخرى فيعدُّ اتصال في النسب[28]، وتراعى أواصر القربى في ذلك، ومن ذلك أن قبيلة ربيعة لم تشترك مع الإدريسي في محاربة العثمانيين بسبب أن سليمان باشا متصرف عسير كان سمياً لهذه القبيلة[29].

بالنسبة للنظام العسكري في القبيلة، فقد كانت القوات المدافعة عن القبيلة تتكون من كل الرجال البالغين والقادرين على حمل السلاح في القبيلة، حيث كان كل فرد في القبيلة يخضع لهذه الأعراف المعمول بها في قبيلته، فيشترى سلاحه.

وتنظيم جيش عسير يقوم على أساس انضمام أفراد القبيلة وقت القتال بحيث تكون كتيبة واحدة في مكان واحد، فكل أفراد القبيلة يعدُّون مقاتلين، وهذا يجعل من الصعب جمعهم في المعارك، وكانوا يتخاذلون عن نصرة الأمير المغلوب إذا رأوا أنه مهزوم لا محالة، وهذا أثبت عدم صلاحية المتطوعين للجندية، وعدم انضباطهم للأوامر العسكرية؛ فلم يعتادوا على النظام العسكري الصارم[30]، فكان لا بد من وجود الجيش النظامي.

وهناك الأفراد وولائهم لقبائلهم، فكل فرد من أفراد القبيلة يعدُّ نفسه جندياً مدافعاً عن هذه القبيلة، ويخضع لقوانين هذه القبيلة وأعرافها، ويحرص أن يكون لبنة صالحة في

مجتمعه يحبه الجميع ويقدرونه ما دام متمسكاً بأعراف هذه القبيلة، وإذا وقعت حرب انضم كل فرد من القبيلة قادر على حمل السلاح لأفراد المقاتلين من قبيلته[31].

ومن الواضح أن هذه القبائل كانت تختلف في مواقفها من العثمانيين، فمنها ما كان مختلف مع العثمانيين وقاموا بثورات ضد الدولة العثمانية، أو على الأقل ساندوا آل عائض حكام عسير السابقين، وخصوم الدولة العثمانية في منطقة عسير في ثوراتهم ضد الدولة العثمانية، ومنها ما كانت تعترف بالسيادة العثمانية على المنطقة، وقد أفادت أنظمة القبائل وتحالفاتها العثمانيين كثيراً في تسيير أمور الإدارة بالمنطقة[32].

أوضاع عسير قبيل الحكم العثماني:

يُعدّ انتقال حكم عسير من قبيلة ربيعة ورفيدة إلى قبيلة بنى مغيد على يد سعيد بن مسلط[33] – نقطة تحول مهمة في تاريخ تأسيس نظام حكم مستقل في المنطقة. وقد تمكن على بن مجثل[34] من توطيد استقلال منطقة عسير، حيث اتخذ من أبها عاصمة للإقليم. وقام عائض بن مرعي من بعده بمد نفوذ منطقة عسير حتى وصلت إلى الطائف والليث شمالاً، وباقم جنوباً وتثليث شرقاً، فتصدى لهجمات أشراف الحجاز[35]، والقوات المصرية[36]، وواجه حركات قبائل أبي عريش وبنى عمر وربيعة، وغيرها[37].

ولما تولي محمد بن عائض(1273ه/1856م)، بدَّل سياسة أبيه في حكم عسير، فثارت عليه قبائل رجال ألمع، والعديد من قبائل عسير الأخرى[38]. كما تمكن من قمع حركات عصيان القبائل ضده، قام بتوحيد المخلاف السليماني تحت حكمه[39]؛ وقام بتوطيد علاقته مع الخديوية في مصر، وأشراف مكة، وأمراء نجد[40]، إلا أن هجوم بن عائض على أبي عريش، ووصوله إلى مقر حكم العثمانيين في الحديدة، وقيامه بحصارها[41]، كان سبباً مباشراً لتجريد الدولة العثمانية لحملتها على عسير 1871م/1288ه.

ويتضح لنا أنه على الرغم من أن محمد بن عائض قد تمكن من تحييد القوى الإقليمية في مصر والحجاز ونجد، والمحافظة على الاستقلال الإقليمي لعسير – إلا أن سياسته المحلية القبلية اصطدمت بالعديد من قبائل عسير المهمة، وأن أطماعه للتوسع في المنطقة، منحت الدولة العثمانية مبرراً قوياً للقضاء على إمارته في عسير[42].

أهمية جزيرة العرب للعثمانيين:

تزايد اهتمام الدولة العثمانية بمنطقة الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس عام(1285ه/ 1869م)؛ بسبب تقارب المسافة بين شبه الجزيرة العربية والآستانة، وهذا شجع العثمانيين لإحكام كامل سيطرتهم على منطقة الحجاز واليمن وعسير، وإخضاعها لحكمهم[43].

أهمية عسير بالنسبة للدولة العثمانية:

إذا كانت اليمن تمثل الحدود الجنوبية للدولة العثمانية، وخط الدفاع الأول عن أملاكها عموماً – فإن منطقة عسير تمثل الحدود الجنوبية للحجاز، وخط الدفاع الأول عن الحرمين الشريفين[44]، وعلى الرغم من أن منطقة عسير لم تكن من المناطق ذات الثروة المادية التي يمكن أن تستفيد منها الدولة، وأن حمايتها تحتاج لتضحيات عظيمة – لم تفرط الدولة العثمانية في المحافظة عليها، على الرغم من تعرض كيانها لخطر التفكك والإنهيار.

وقد زادت أهمية اليمن عموماً وعسير على وجه الخصوص بالنسبة للدولة العثمانية إثر احتلال بريطانيا لعدن عام(1255ه/ 1839م)، وإجبار القوات المصرية على التخلي عن المنطقة(1256ه/1840م) [45]، وتأجج الصراع الدولي للسيطرة على مدخل البحر الأحمر الجنوبي، والمناطق المحيطة به سعياً للتحكم في طريق التجارة المار بقناة السويس[46]، وسعي هذه القوى لاستمالة مشايخ قبائل اليمن وعسير ضد الدولة العثمانية[47]، وهكذا حاولت الدولة العثمانية ملء الفراغ السياسي والأمني الإسلامي في المنطقة بإعادة تأسيس ولاية عثمانية في اليمن عام 1849م/ 1265ه، ثم بالسيطرة على منطقة عسير عام 1872م/1289ه، سعياً منها لحماية الحرمين الشريفين، ومن ثم حماية مكانة السلطان العثماني الدينية في العالم الإسلامي كخادم للحرمين الشريفين[48].

أهمية عسير بالنسبة للقوى العالمية:

لقد كان مرور الدولة العثمانية بمرحلة تفكك، بداية لتنافس القوى الاستعمارية على احتلال أملاك الدولة العثمانية في الشرق. وقد انطلقت هذه المنافسة باحتلال فرنسا لمصر عام 1798م؛ بغرض قطع طريق تجارة الهند الإنجليزية عبر البحر الأحمر. ومنذ ذلك الحين بدأت انجلترا تسعى لحماية طرق مواصلات تجارتها الآتية من مستعمراتها في الهند، والسيطرة على طريق التجارة القديم، والبحث عن مركز تموين لأساطيلها التجارية. وهكذا، كان احتلالها لعدن(1255ه/1839م)، والسيطرة على النواحي التسع المتاخمة لعدن، وعلى جزيرة «بريم» التي تتحكم في باب المندب(49)، بداية لاهتمام الدول الغربية الاستعمارية بمنطقة اليمن عموماً، وعسير على وجه الخصوص. فقامت فرنسا باحتلال منطقة شيخ سعيد المقابلة لباب المندب عام(1256ه/1840م)، وسعت ايطاليا لتشجيع الخارجين على الدولة في نواحي عسير واليمن (1309ه/1891م)[50]. وبذلك، زاد الاهتمام الأوروبي بمنطقة عسير؛ نظراً لموقعها المهم بين اليمن الحجاز التي يحذر عليهم دخولها، ولطول سواحلها المطلة على البحر الأحمر، وسعياً لمشاركة انجلترا في السيطرة على طريق تجارة الهند، كما حرصت الدولة العثمانية على الدفاع عنها والحيلولة دون وقوعها في يد القوى الأجنبية.

لا شك أن الموقع الاستراتيجي لليمن عموماً، ولعسير على وجه الخصوص كحائط دفاع أول عن الحرمين ضد التجاوزات الداخلية، والاعتداءات الخارجية - كان الشغل الشاغل للدولة العثمانية منذ أواسط القرن 19م/13ه.

وقد زاد من هذا الاهتمام التنافس الدولي بين انجلترا وفرنسا وإيطاليا لإحكام السيطرة على مدخل البحر الأحمر، عقب فتح قناة السويس(1869م/ 1285ه)، وعودة النشاط لطريق التجارة القديم. وهكذا، أصبح مضيق باب المندب، وبلاد اليمن، ومنطقة عسير مسرحاً للتنافس الدولي الاستعماري على أملاك الدولة العثمانية[51].

عوامل نجاح الحملة العثمانية على عسير 1289ه/1871م:

كان الباب العالي مهتماً بأنباء غزو إمارة عسير لليمن، وقد اعتبر الباب العالي هذه القضية التي شغلت بال الدولة العثمانية عدة عقود، ولا بد من اتخاذ إجراء قوي للقضاء عليها، ورأى الباب العالي أن مستقبل الحكم العثماني في جزيرة العرب متوقف تماماً على تدمير إمارة عسير، والقضاء عليها[52]

وقد ساعد علي نجاح الحملة العثمانية على عسير مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية كان من أهمها:

- خيانة بعض زعماء القبائل المحليين والذين أعلنوا خضوعهم للقائد رديف باشا، وكان من أهمهم الشيخ عمر الكناني، شيخ حلي، والذي لعب دوراً مهماً في نجاح الحملة، وذلك بتقديمه المعلومات اللازمة للجيش العثماني، وكان دليلاً له في خط سيره، وكذلك قدم للقائد رديف باشا 400 جملاً، وقد حصل الجيش على فوائد كبيرة من تعاون الشيخ عمر الكناني معه، واستغلوا معرفته الكبيرة بالقبائل، ومواقع المياه، والجبال والممرات، ورافق القائد أحمد مختار باشا، واقترح على القائد رديف باشا أن يسلك عقبة شعار بدلاً من عقبة تيه[53].

- الفارق في التسليح وفي التدريب بين جيش أمير عسير، والجيش العثماني، فقد كان العسيريون يمتلكون بنادق قول ومسافتها تصل إلى 500متر، أما الجيش العثماني فكان يمتلك بنادق من نوع مارتين والتي تزيد مسافتها على 800متر، وهذا أعطى للعثمانيين تفوقاً كبيراً على جيوش أمير عسير.

- كذلك كان لضعف وسائل الاتصال بين مراكز قوات أمير عسير المرابطة في رجال ألمع، وقواته الموجودة في السراة أثره في إخفاق خط الدفاع لجيوش أمير عسير، وهذا جعله يقف عاجزاً عن معرفة اتجاه أعدائه واستعداداتهم، ونوعية أسلحتهم[54].

- ثبات حامية الحديدة المحاصرة بقيادة علي باشا في مواجهة القوات العسيرية، وقد أرسلت نجدات سريعة من الحجاز لمساعدة علي باشا والي الحديدة تتكون من 850رجلاً،

ومائتي جواد، وأربعة مدافع بهدف مساعدتها على الصمود حتى وصول القوات العثمانية من استانبول[55].

- كذلك ما قام به جيش أمير عسير أثناء انسحابه من الحديدة ضد سكان تهامة والمخلاف السليماني من مجازر بشعة، وقسوة وعنف أغضب السكان المحليين، وهذا أثر في مواقفهم تجاه أمير عسير عند وصول الجيش العثماني[56].

- دور شريف مكة في إقناع قادة غامد وزهران وبلقرن وشمران بالتوقف عن تأييد أمير عسير، أو الوقوف معه، وكذلك أوضح لهم مزايا التعاون مع الجيش العثماني وتزويد الجيش العثماني بألف بعير، فلم يشاركوا أمير عسير في اجتماعه بمشايخ القبائل عند عودته لأبها لبحث مسألة الحرب والدفاع عن عسير، بل أجروا اتصالاتهم بشريف مكة وطلبوا حمايته[57].

الأوضاع الداخلية التي شجعت العثمانيين على إرسال الحملة:

عقب انسحاب قوات محمد على باشا التي كانت قد سيطرت على عسير ونواحيها، أضيف إلى الشريف محمد بن عون حكم عسير علاوة على إمارة الحجاز، إلا أن خروج سعيد بن مسلط على حامية أمير مكة في طبب، وبسط سيطرته على عسير واستقلاله بها، بداية لمرحلة جديدة من تاريخ عسير الحديث. وهكذا، أخذ على بن مجثل[58]، ثم عايض بن مرعي وابنه محمد[59] يؤكدون نفوذهم في مختلف أنحاء عسير، حتى محاولة محمد بن عايض حصار عاصمة ولاية اليمن العثمانية في الحديدة عام 1288ه/1870م[60].

عندما تولى الأمير محمد بن عائض إمارة عسير عام(1273ه/ 1855م) - كان في عسير مجموعة من أشراف المخلاف السليماني الذين كان والده الأمير عائض قد أخذهم أسرى، فقام الأمير محمد بإطلاقهم مقابل رهائن محلهم في الأسر، وأخذهم إلى أبي عريش، ومعه جيش كبير، ثم قام بتخريب قلاع المدينة عدا(قلعة دار النصر) فقد تركها حصناً للمدينة، فقد كان يخاف من ثورات الأشراف، واستعانتهم بالعثمانيين الذين كانوا يجيدون الدفاع داخل القلاع، ومن النادر أن يتمكن أي جيش من اقتحام القلاع العثمانية بسبب أسلحتهم المتطورة من ناحية، ومن ناحية أخرى كان الأمير محمد يتخوف من استعانة الأشراف بقبائل يام التي تحارب كمرتزقة بجانب الأشراف، وقام الأمير محمد بتولية الحسن بن محمد أميراً على البلاد.

ظل النزاع مستمراً بين أشراف المخلاف مستمراً، وظلت تهامة موطناً صالحاً للعثمانيين لمراقبة أحداث اليمن، وإعادة الحملات عن طريقها لليمن، فاستعان الحسن بن الحسين بقبائل يام ضد الحسن بن محمد، فقام بإخضاع الحسن بن محمد وإدخاله في طاعته ثم ساعده الحسن بن محمد في إخراج الحامية العسيرية، ويتضح أن الأشراف رغم نزاعاتهم

لم يكونوا يميلون لحكم أمير عسير، لكن لضعف السيطرة العثمانية في تلك المنطقة، واضطراب الأمور فيها – خضعوا لأمير عسير[61].

وبعد وصول الخبر للأمير محمد قام بحملة جديدة على المخلاف السليماني، لإثبات وجوده، فحاصر أبي عريش، وبعد ذلك توصل لاتفاق مع الحسن بن الحسين يدفع الحسن بموجبه لأمير عسير مبالغ سنوية، و يعترف بتبعيته له[62].

وقد كان الأمير محمد يقوم بحملاته لإثبات وجوده، والحصول على المبالغ المالية السنوية، بغض النظر عن تقبل الناس لحكمه[63].

كان أمير عسير يعمد دائماً لإثارة الفتن بين أشراف المخلاف السليماني ليضعف بعضهم ببعض، ليفرض سيطرته على المنتصر منهم، وكان على الحسن بن الحسين أن يجمع هذه الأموال لأمير عسير، ولمرتزقة يام أيضاً، فقام بظلم الناس، وضيق على التجار، وأهل الحرف.

أما الحسن بن محمد فقد قام بتدبير مؤامرة للتخلص من الحسن ابن الحسين، وبالفعل استطاع التخلص منه، وتولى إمارة أبي عريش، وكان يظن أن هذا العمل سوف يرضي أمير عسير، لكن على العكس؛ فقد أثار عليه الناس، وجر عليه غضب أمير عسير، فجمع الجيش وتوجه إلى المخلاف السليماني، وكان أغلب أهالي أبي عريش مؤيدين لأمير عسير، وغير راضين عن ما فعله الحسن بن محمد، تمكن أمير عسير من الاستيلاء على أبي عريش، أما الحسن بن محمد فقد هرب ليلاً، ولاقى حتفه في نجران، كان هدف أمير عسير هو فرض سيطرته السياسية على المخلاف السليماني، وكسب الأموال، ولذلك حرص على استقرار الأوضاع في المخلاف السليماني؛ فعين عليها عاملاً هو أحمد الحازمي[64].

لم يكتفِ أمير عسير بالاستيلاء على المخلاف السليماني، بل وصل إلى الحديدة وتحرش بالعثمانيين هناك، وبعد ذلك عرج إلى جازان واستولى عليها، وجعل عليها عاملاً[65]، هنا اتهمت الدولة العثمانية الأمير محمد بحب التوسع على حساب الدولة العثمانية، ولم تعترف الدولة العثمانية باستيلائه على ميناء جازان.

أما بالنسبة للمخلاف السليماني فقد ظلت أوضاعه غير مستقرة، وبعد وفاة عامل أمير عسير أحمد الحازمي، تولى أخوه محمد الحازمي مكانه، في الوقت نفسه حدث اتفاق بين أمير عسير وبين الدولة العثمانية، بأن يتنازل أمير عسير عن الأماكن التي تقع جنوب ضمد بما فيها أبي عريش، ويبقى له صبيا والمخلاف السليماني، والأماكن الواقعة شمال ضمد، وقد ظل المخلاف السليماني في قبضة الدولة العثمانية حتى عام(1287ه/1870م) عندما أخرج الأمير محمد الحامية العثمانية من صبيا، ثم بعد ذلك حصاره للحديدة[66].

كان الأمير محمد قد تنازل عن المخلاف السليماني للعثمانيين حتى لا يصطدم معهم

في مواجهات، لكنه لما حاول استعادته كانت تلك بداية النهاية لإمارته[67].

الخلافات الداخلية في عسير:

تولى الأمير محمد بن عائض إمارة عسير بعد وفاة والده الأمير عائض بن مرعي عام (1273ه/1855م)، وقد كان الأمير محمد رجل حرب أكثر منه رجلٍ علمٍ وسياسة، ورجل الحرب إذا لاحظ فساداً، أو فوضى اشتدت بطشته، فكان مختلفاً كثيراً عن والده الذي كان يقرب العلماء، ويأخذ برأيهم ونصحهم، بينما كان يعتمد على السلاح وسواعد الأبطال[68]. وقد أقام الأمير محمد بن عائض علاقات ودية مع الإمارات المجاورة؛ فقام سنة(1275ه/1859م) بإرسال مندوبين إلى مكة لمقابلة الشريف عبد المطلب والتفاوض معه؛ وذلك للتعاون بين الطرفين، ولكن هذا الأمر أثار الدولة العثمانية التي رأت أنه تطاول عليها لخوفها من طموح أمير عسير[69].

وقد قام رجال ألمع ومن جاورهم بالثورة ضد الأمير محمد بن عائض، وكانت ثورة عارمة امتدت حتى وصلت درب بني شعبة، كانت هذه الثورة قد أربكت الأمير محمد بن عائض، وقد تفاوض الأمير محمد مع الثوار لكن مفاوضاته فشلت، فوجه لهم قواته التي هزمتهم وكسرت شوكتهم، وقتلت أميرهم المرتقب محمد بن الحسن النعمي، وخضع رجال ألمع بالقوة، وكانت هذه الثورة من أصعب المشاكل التي واجهت ابن عائض، وكادت تعصف بإمارته[70].

حصار الأمير محمد بن عايض للحديدة:

تعددت الآراء حول الأسباب التي دفعت محمد بن عائض للمخاطرة بحصار الحديدة، حيث تجمع كل هذه الآراء على عدم دراية ابن عائض بالأوضاع السياسية في المنطقة وخضوعه لرغبته في التوسع ولبعض المقربين إليه من أصحاب المصالح الشخصية[71] وكان اهتمام الدول الأوروبية بجنوب الجزيرة العربية عموماً، وباليمن منذ النصف الأول من القرن 19م/13ه، ومحاولة محمد على باشا توسيع نفوذه في المنطقة – قد دفعها لتحين الفرص للاهتمام بالمنطقة وعودتها إلى اليمن من جديد عام1255ه/1839م عندما احتلت بريطانيا عدن[72]، ولم يكن رد الدولة العسكري على محاصرة ابن عائض للحديدة سوى سبباً مباشراً كانت تنتظره الدولة العثمانية بفارغ الصبر للسيطرة على منطقة عسير التي خرجت على إمارة الحجاز الاستراتيجية. وهكذا، أسرع الباب العالي لعقد اجتماع طارئ ناقش فيه مسألة عسير[73]. حيث صدر القرار بتجريد حملة عسكرية تحت قيادة كل من رديف باشا[74]، وأحمد مختار باشا[75].

وقد تزايدت قوة الأمير محمد بن عايض بشكل كبير، وأصبحت الدولة العثمانية

تحسب له ألف حساب[76].

وصول الحملة إلى جدة:

وصلت الحملة العثمانية إلى جدة يوم الخميس نهاية شهر ديسمبر (1287هـ-1870م)، وقد استقبلها شريف مكة ووالي الحجاز خورشيد باشا، وظلت في جدة ثلاثة أيام، وقام القائد رديف باشا بعقد اجتماع حربي لدراسة ما يتعلق بالحرب في عسير، وكان ضمن ما اُتفق عليه الخروج إلى القنفذة[77].

الحملة في ميناء القنفذة:

تحركت الحملة من جدة بعد استكمال الترتيبات اللازمة ووصلت ميناء القنفذة في(20شوال 1287هـ/ 30ديسمبر 1870)، استعداداً للتوجه إلى عسير[78]، وبعد وصول الجيش إلى القنفذة، وقاموا بإنزال العساكر والأرزاق من البواخر، واتخذوا من موقع أم الجرم معسكراً لهم؛ وذلك لوفرة المياه فيه، وكثرة الحطب، وبقي الجيش ينتظر وصول القائد أحمد مختار باشا من الحديدة إلى القنفذ[79]، وأثناء وجود الجيش في القنفذة جاء الشيخ عمر بن عبدالله الكناني[80]، شيخ حلي والذي عرض على رديف باشا الدخول في طاعته، واستعداده لخدمة الجيش في تحركاته، وأمدهم بالمعلومات اللازمة عن المنطقة، وقدم للجيش الجمال والبغال وما يلزم، وقد قدم عن قبيلته 400 جمل[81]، وبعد ذلك توالى قدوم بعض مشايخ القبائل التي التمست الأمان، وهي قبائل بني شيب، وآل سليمان، وبالحارث، وبالقرن، وشمران وأبو الريان، وبني سهيم، وبني رزق، وغيرهم[82].

وقام رديف باشا ببناء مستشفى في القنفذة، واتخذها مركزاً للتحرك نحو هدفهم وبعد استكمال الاستعدادات واصل الجيش مسيره[83].

في هذه الأثناء وصل شيخ مشايخ بني شهر فايز بن غرم العسبلي[84] إلى المعسكر ليعقد صلحاً بين الجيش العثماني، وبين الأمير محمد بن عايض، لكن رديف باشا لم يقبل هذا الصلح، بل قام بالقبض على الشيخ فايز العسبلي، وأودعه السجن، وقام بمواصلة تقدمه[85] وفي هذه الأثناء عاد الشريف عبدالله بن محمد بن عون وإخوته وأعوانه إلى جدة، وقد اختلفت الرايات حول عودة الشريف إلى جدة فمنهم من قال إنه كان نحيف ولا يقوى على السفر، ومنهم من قال أن رديف باشا استبد بالموقف ولم يقبل مساعدة الأشراف أو مشورتهم، وكذلك قيامه باعتقال الشيخ فايز العسبلي والذي هو والد زوجة الشريف عبدالله بن عون، ولم يراع صهره الشريف عبدالله، وقد يكون الشريف عبدالله حاول التوسط للصلح مع صهره بين رديَف باشا، والأمير محمد بن عايض، لكن رديف باشا رفض هذه الوساطة، وكذلك عدم رضا الشريف عبدالله عن معاملة رديف باشا القاسية لأهالي عسير، وخاصة

بعد أن رأى قوة جيشه ففضل العودة[86].

ثم وجه القائد رديف باشا منشوراً تحذيرياً لأهالي عسير قبل بدء العمليات العسكرية. عقد أمير عسير محمد بن عائض اجتماعاً لوجهائها لتدارس الأمر، حيث تقرر رفض الإنذار وإعلان النفير العام، والاستعداد لمواجهة الحملة[87]

غادر الجيش القنفذة من أم الجرم وواصل سيره حتى وصل إلى بلعير، والتي أقام فيها معسكره حوالي خمسة أيام للتزود بالجمال[88]، ثم غادر الجيش بلعير متجهاً نحو الحجية، ومنها اتجه إلى بارق والتي أثبت شيخها حسن بن هيازع[89]، ولائه لأمير عسير فقام بمقاومة الجيش العثماني، ولكنه لم يستطع الصمود بسبب قوة الجيش وكثرته، فاضطر الشيخ للهرب، وأما رديف باشا فقد قاد جيشه مسرعاً عبر ممر بارق متجهاً إلى محائل، وهي المركز الرئيس لتهامة[90].

وصول الحملة إلى محائل[91]:

وبعد وصول قوات رديف باشا إلى محائل لم تجد أي مقاومة فقد هربت الحامية العسيرية منها، وقد انتشرت الأمراض في الجيش العثماني بسبب هواء تهامة ومياهها، ووقعوا صرعى المرض والفراش، وقد قام الجيش العثماني ببناء مستشفى في محائل، وقد اتخذها رديف باشا مركزاً متوسطاً بين السراة، وميناء حلي بن يعقوب، وجعل القوى تتجمع فيها، قام كذلك ببناء خط مباشر بين محائل وحلي بن يعقوب و القنفذة، وقام بتأمين الطرق المستخدمة للتموين، وربط المحطات على طول الطرق المستخدمة بين هذه المراكز، وأراد رديف باشا إثبات سطوته فقام بالقبض على بعض السكان، واتهمهم ببث الرعب بين الرعية، وأمر بالقصاص بهم على مرأى من الناس، وكان الشيخ عمر الكناني قد أشار على القائد رديف باشا أن يتجه إلى عسير عن طريق رجال ألمع ويصعد عن طريق عقبة(الصماء)[92]؛ لأن العسيريين لن يتوقعون مجيئه من هذا الطريق، وقد وافق رديف باشا على اقتراح الشيخ عمر الكناني رغم صعوبة العقبة[93].

سار رديف باشا عن طريق رجال ألمع فخرج له رجال ألمع للقتال فهزمهم، وقيل إن رجال ألمع لم يقوموا بأي مقاومة بسبب خلافهم مع ابن عائض ورغبتهم في هزيمته، أكمل رديف باشا استعداداته، ونظم جيوشه في محائل ثم اتجه إلى عقبة شعار بعد أن قام بدراسة الموضوع من جميع جوانبه، فقد أدرك أن عقبة تيه سوف تكون مركزاً لتجمع قوات ابن عائض؛ ولذلك فضل الأخذ برأي الشيخ عمر الكناني فاتجه عبر طريق عقبة شعار، والذي يعدُّ أكثر وعورة وأقل خسائر وخدعة لمفاجئة أعدائهم، لأن العسيريين سوف يستبعدون مجيئهم من هذا الطريق، فتركوه دون حراسة.

وكانت الخطة أن يتقدم الجيش إلى عقبة تيه، أراد رديف باشا إيهام ابن عائض أنه

سيتجه من عقبة تيه، ثم تستدير القوات الرئيسة للجيش نحو الطريق المؤدي إلى وادي العوص، ويبقى قسم واحد من الجيش على طريق تيه، وأثناء مرور الجيش واجه مقاومة عنيفة من جانب العسيريين المتمركزين في دالج، لكن الجيش العثماني أجبرهم على التراجع، ثم تظاهر الجيش أنه يتجه جنوباً نحو ريدة، وبدل مسيرته شمالاً بغية الدخول في عقبة الصماء، وفي الليل انتشرت المخافر وثبتت في نقاط مهمة على طول الطريق، وقد استقر كل فوجٍ في مكانه المخصص، في حين توارد وصول المتأخرين، وبعد طلوع الفجر كانت كل القوات قد وصلت، ولم ينتبه العسيريون إلا بعد وصولها وإطلاقها المدافع ابتهاجاً بذلك[94].

استعدادات الأمير محمد بن عائض:

وصل للأمير محمد بن عائض خبر تحرك الجيش العثماني إلى ريدة؛ فقام بإرسال أخيه سعد مع تعزيزات إلى ريدة، وكان نجاح المعركة يتوقف على وصول الحملة أعلى قمة العقبة قبل طلوع الفجر، وقد وجه أخاه سعيد ومعه بني مغيد، وبعد معركة كبيرة مع رجال رديف باشا في العقبة – انسحب ابن عائض بقواته إلى السقا، ولما وصل عاصمته عقد اجتماعاً عاجلاً ضم شيوخ القبائل، وقد تعاهدوا على الحرب والتضحية و بدأوا استعداداتهم لذلك[95]. كانت حصون السقا منيعة، ومليئة بالرجال، والعتاد والطعام، وقد تمكن المتحصنون فيها من تصويب أهدافهم فألحقوا الضرر بخصومهم، وقد وضع ابن عائض خارج السقا حوالي ستة آلاف مقاتل لمهاجمة القوات العثمانية، والتي تتركز حول السقا[96].

التقدم نحو السقا:

تقدم الجيش العثماني نحو السقا، وهو يطلق نيران المدافع نحو السقا، فاخترقت قذيفة حصن مسمار أحد حصون السقا فاحترق الحصن بما فيه من الذخيرة والرجال، لجأ عدد كبير من قوات العسيريين إلى الجبال غرب السقا واتخذوها نقاطاً لهم، بينما تمركزت بقية القوات في القلعة الحجرية الصغيرة داخل السقا، وقد اكتشف العثمانيون بأن خطة العسيرين هي بعد دخول المهاجمين يترك بعض المقاتلين مواقعهم، ويتظاهرون بالتراجع، ويظل الباقون داخل القلعة، ولا يطلقون النار، وبعد أن يقوم العثمانيون بمطاردة المتراجعين يفتحون عليهم النيران، كانت خطة جيدة، لكن فشلت بسبب حريق حصن مسمار أكبر قلاعهم الحربية، ظلت المعركة مستمرة خمسة أيام، واجه العثمانيون خلالها مقاومة عنيفة، لكنها انتهت بعد ذلك بدخول العثمانيين السقا وانسحاب ابن عائض وقواته إلى الحفير[97]، والتي كانت مجرد محطة عبور لقوات الأمير محمد بن عائض، وجرى إطلاق

نار بين الطرفين، ولكن لم يستطع ابن عائض الصمود فالتجأ بقواته إلى قرية ريدة[98]، وقد أراد رديف باشا أن يفرض سيطرته على أبها قبل حصار ريدة، وذلك حتى يقطع على ابن عائض خط الإمدادات، فأرسل أربع طوابير باتجاه أبها، وقد تمكنت من السيطرة على أبها بسهولة؛ لأن المقاومة كانت ضعيفة[99]، وهكذا، دخل الجيش العثماني العاصمة، وعُيِّن الرائد أحمد حلمي حاكماً عسكرياً عليها[100].

المواجهات في ريدة[101]:

كانت ريدة هي الهدف الأخير للقائد رديف باشا، وقد كانت مكاناً مثالياً للدفاع؛ ولذلك توجه ابن عائض بمن معه إلى ريدة وتحصن بها هو ورجاله، وبعد قيام رديف باشا بتأمين مؤخرة جيشه، وفرض سيطرته على الأماكن التي استولى عليها، توجه إلى ريدة، وأخذ يقصفها بالمدافع، وقد كان الأمير محمد بن عائض ورجاله يردون بالمثل فأمر رديف باشا لاحق بن أحمد الزيداني الذي لعب دوراً مهماً في الوساطة بين ابن عائض والجيش العثماني، وفي استمالة العديد من أفراد المقاومة العسيرية المحاصرة. للدخول في مفاوضة مع ابن عائض، لإضعاف همته من المقاومة من جهة، ومن جهة أخرى لأخذ فترة هدنة ليحكم خطته في الهجوم على ريدة، وهو ينتظر قدوم أحمد مختار باشا، كانت هذه المفاوضات من قبل لاحق الزيداني الذي كلفه رديف باشا بهذه المهمة، وكان الأمير محمد بن عائض يركن لهذا الصلح، إلا أنه أحس من رديف باشا الغدر، فأرسل أخاه سعيد بن عائض للتفاهم مع رديف باشا، وقد سار سعيد بن عائض إلى السقا مركز رديف باشا للتفاوض معه، فقبض عليه رديف باشا وكبله بالأغلال ووضعه في السجن، فتأزم الموقف بين الطرفين.

أما أحمد مختار باشا فقد اتجه بالجنود والمدافع والأرزاق عن طريق ربيعة، ثم وصل محائل، وبعدها اتجه إلى حلي، ثم انتقل منها ومعه الجنود والمعدات إلى الشقيق، ثم انتقل منها سالكاً وادي مربة حتى وصل إلى ريدة لحصارها من الغرب، ولم يشعر العسيريون إلا وهم بين كفي كماشة، قوات رديف باشا من الشرق، وقوات أحمد مختار باشا من الغرب جهة تهامة[102]. وقد كان وصول قوات أحمد مختار باشا يمثل بداية النهاية للمقاومة العسيرية، وكانت قواته تحمل معها مدافع ألمانية الصنع[103]، لم تستخدم من قبل ضد أهل عسير، ثم وجه أحمد مختار مدافعه نحو ريدة، وقد بدأ إطلاق عدد كبير من القذائف على حصن قحطان وسبب خسائر كبيرة، وتعرضت ريدة للهجوم من كل الجهات، وكان التركيز على حصن الأمير محمد بن عائض، وقد أصابت قذائف أحمد مختار باشا وسط الحصن وجدرانه الداخلية، والخارجية، وأحدثت فيها فجوة، وخلفت دماراً في القلعة كان ابن عائض يريد فهم حقيقة هذه المدافع، فأرسل رسولاً لأحمد مختار باشا متظاهراً بطلب الصلح، ولكن أحمد مختار باشا أدرك ذلك فأطلع الرسول على حقيقة المدافع، وأنه

لا مفر من الاستسلام[104].

قام الجيش العثماني بقصف حصون أمير عسيرٍ، وركز على قصف كل حصن على حده، لفتح ثغرات في القلاع، وكان القتال مستمراً والمعركة عنيفة بين الطرفين وعلى الرغم من البسالة التي أبداها العسيريون - إلا أنهم وقعوا تحت حصار القوات العثمانية، والتي أحكمت عليهم الحصار، ومنعت الدخول والخروج من وإلى ريدة. وفي إحدى المعارك حول أحد الحصون استخدم العسيريون كل أنواع الأسلحة حتى وصل بهم الأمرٍ إلى استخدام السلاح الأبيض، وأمسكوا بحراب بنادقهم وواجهوا الجيش العثماني وجها لوجه، وقد صمد العسيريون وقاتلوا قتال الأبطال[105].

حاصرت القوات العثمانية قلعة ريدة الحصينة، حيث بدأ رديف باشا مراسلاته مع ابن عايض لعقد الصلح بواسطة لاحق بنٍ أحمد الزيداني، إلا أن عدم ثقة الأمير العسيري وأسر شقيقه سعيد بن عائض كانت سبباً في شن الهجوم على القلعة، حيث تمكنت القوات العثمانية من الإحاطة بها من كل الجهات، مما أجبر الحاميات في حصون شهران، ثم آل مفرح، ثم بكرٍ وآل مجثل، وغيرها للاستسلام. وبذلك اضطر الأمير محمد بن عائض للاستسلام أيضاً حقناً للدماء بعد أن حصل على المواثيق لتأمينه رجاله في محرم 1289ه/ 1871م[106].

إلا أن حالة من الهرج نشبت بين العسيريين المستسلمين، ورجال الحملة العثمانية انتهت بجرح رديف باشا، ومقتل كل من محمد وأخيه سعد بن عائض، وعدد من أعيان عسير، وذكر المؤرخون المحليون أن رديف باشا أراد قتل محمد بن عائض، وفهم أخوه سعد ما يقول لأنه يعرف بعضاً من اللغة التركية؛ فهجم سعد على رديف باشا وطعنه، ودارت معركة بين الطرفين انتهت بقتل الأمير محمد وأخيه سعد وبعض من أعيان عسير[107]. رغم أن بعض مَن كتب عن هذه الحملة من الأتراك ذكر أن كمية من البارود مكومة ومتروكة بإهمال من جانب العسيريين، ولم ينتبه لها أحد فاندلعت وانفجرت نتيجة مس بنار؛ فمات الكثير من الطرفين من بينهم الأمير محمد بن عائض وبعض إخوته وبعض من أعيان عسير[108]، وبذلك خضعت عسير مرة أخرى للإدارة العثمانية.

وفي الحقيقة لم يفِ العثمانيون بما تعهدوا به من مواثيق لأمير عسير؛ حيث غدر رديف باشا بالأمير محمد بن عائض، وكل من وقع في يده من أبناء منطقة عسير، وعاملوا شيوخ القبائل وأعيان المنطقة معاملة سيئة ومتعجرفة؛ مما دفع بأبناء المنطقة للقيام بسلسلة من حركات التمرد والثورة على هذا الحكم الظالم.

عسير في ظل الحكم العثماني:

دخلت منطقة عسير وموانيها الإستراتيجية تحت الحكم العثماني، وألحقت كمتصرفية

مستقلة بولاية اليمن، ومن ثم تمكنت الدولة العثمانية من الربط بين إمارتها في الحجاز وولايتها في اليمن، وبدأت تلعب دوراً أساسياً في معادلة الصراع الدولي في المنطقة.

وقد دفع هذا الوضع الجديد في المنطقة الدول الأوروبية لتعميق دورها الثقافي لتشويه دولة الخلافة العثمانية بين القوة المحلية في عسير، ومحاولة تنمية الشعور الاستقلالي للعشائر، وتشجيعها على الخروج على الدولة كلما سنحت الفرصة لذلك، وإضفاء الشرعية على القوى المحلية الخارجة بعقد اتفاقيات تجارية معها بعيداً عن رقابة الدولة، ودعمها مادياً وعسكرياً في حركات الخروج على الإدارة العثمانية.

والدولة العثمانية بعد سيطرتها على عسير أرادت دمج أبناء عسير في إدارة البلاد لتحافظ على استقرار البلاد؛ فاعتمدت على بعض الشخصيات التي لها ثقلها في المجتمع العسيري حتى يساعدوا العثمانيين في إدارة البلاد؛ حتى يضبطوا الأمن في البلاد، ويقوموا بخدمة الدولة[109].

الوضع الإداري:

أصبحت متصرفية (لواء/ سنجقية) عسير واحدة من ستة متصرفيات (صنعاء، الحديدة، تعز، عسير)، تتشكل منهم ولاية اليمن، يعين على كل واحدة منها متصرف، أو ما أطلق عليه اسم أمير لواء أو أمير سنجق)، يكون ممثلاً لوالي اليمن في متصرفيته، ويرجع إليه في مختلف شئون اللواء. وقد قسمت متصرفية عسير – إضافة إلى مركزها في أبها– إلى ستة أقضية، يعين على كل منها «قائمقام»، وقسمت إلى نواحي أو مديريات، عين على كل ناحية مدير عرف بمدير الناحية، وهي:

1. قضاء غامد، ومركزه رغدان، ويتبعه عدد من النواحي والقبائل[110].
2. قضاء رجال ألمع ومركزه الشعبين، وقد أنشأه رديف باشا أثناء حملته على عسير ويتبعه عدد من النواحي والقبائل[111].
3. قضاء بني شهر، ومركزه النماص.
4. قضاء القنفذة ومركزه القنفذة وهي ميناء المتصرفية.
5. قضاء محايل و بارق وقنا، ومركزه محايل.
6. ضاء صبيا وجازان وأبو عريش ومركزها صبيا، وقد اتخذت مركزاً للمخلاف السليماني[112].

ويُختار متصرف عسير ممن يُرشحوا من الأمراء الذين شغلوا مناصب سابقة في المنطقة من قبل، حيث كان يتم تعيينه بموجب براءة سلطانية تصدر من مركز الدولة لمدة عام واحد قابل للتجديد. ويقوم متصرف عسير بإدارة شئون المتصرفية، كممثل لوالي اليمن في المتصرفية عن طريق مجلس إداري يرأسه، فيقوم بتنفيذ قوانين الدولة والأوامر السلطانية

المتعلقة بعسير بمساعدة قائمقامي الأقضية، ومديري النواحي، وحكام الشرع الشريف، ويشرف على الشئون المالية بمساعدة المحاسبجي، وعلى الشئون الأمنية بمساعدة أمراء الألوية العسكرية في عسير. ويلاحظ عدم استقرار متصرفي عسير لفترة طويلة في مناصبهم، حيث كان الكثير منهم يُقال لسوء إداراته، أو عجزه، أو يستقيل بدعوى عدم تكيفه مع طقس المنطقة[113].

وسعياً من الإدارة المركزية لإيجاد حلقة وصل بين الإدارة العثمانية في عسير والإدارة المحلية التي يحيط أهل عسير بها علماً، ورغبة منها في استمالة القبائل العسيرية، قامت بتعيين معاون متصرف عسير من أمراء عسير المحليين السابقين؛ كما وجهت منصب وكيل المتصرفية لشخصية مستقلة كقاضي عسير، أو المفتى، أو المحاسب. وكان يعاون هذه الهيئة عدد من الموظفين الذين يعينون من قبل الدولة مباشرة ببراءة سلطانية كالمحاسبجي، ومدير التحريرات، ومدير التلغراف[114].

والحقيقة أن الإدارة العثمانية لم تتدخل في الإدارة المحلية للمتصرفية – إلا في حدود ارتباطها بالإدارة المركزية للمتصرفية وللولاية. ولذلك نلاحظ أن قائمقاميات الأقضية كانوا في أغلب الأحيان يُعيَّنون من أمراء عسير ومشايخها المقدمين، أما مديرو النواحي فكانوا يُعيَّنون من رؤساء القبائل في مختلف أنحاء عسير، الأمر الذي يشير إلى مدى مشاركة القوى المحلية في إدارة شئون المتصرفية.

الوضع السياسي:

منذ دخولهم تحت الإدارة العثمانية، أصبح أمراء ومشايخ متصرفية عسير التابعين لوالي اليمن، من رعايا الدولة العثمانية – لهم جميع الحقوق وعليهم جميع الواجبات، ولذلك وجدنا أن الدولة تسعي لدمجهم في إدارة المتصرفية، وفي جهازها الأمني، وإدارتها الشرعية. وعندما أعيد فتح مجلس المبعوثان(البرلمان العثماني) من جديد عام(1326ه/ 1908م) – عُقدتْ انتخابات في متصرفية عسير لانتخاب مبعوث عن المتصرفية لحضور جلساتها في اسَتانبول[115]، غير أن الإدارة المركزية في استانبول راحت تختص بتوجيه سياسة المتصرفية الخارجية في إطار الدور الذي تقوم به ولاية اليمن العثمانية في المنطقة، ولذلك كانت سياسة المتصرفية تخضع للسياسة العامة للدولة في حالتي السلم والحرب.

الوضع العسكري والأمني:

كانت الدولة العثمانية قد قسمت جيوشها في أنحائها المختلفة إلى سبعة جيوش، مقر أولها مركز الدولة، أما مقر الجيش السابع منها فولاية اليمن[116]، وكان كل جيش يتشكل من فرق المشاة والخيالة والمدفعية[117] عقب استتباب الاستقرار في متصرفية عسير،

ترك أحمد مختار باشا في المتصرفية ستة أفواج من العسكر لتوزيعها على مختلف مراكز اللواء، ونحو 1800 جندي من الضبطية، ربعهم من الخيالة لتوزع على الأقضية. وهكذا كان كل من يعين على متصرفية عسير يتولى بموجب البراءة السلطانية في الوقت نفسه قيادة (قوماندانية) الفرق العسكرية الموجودة باللواء[118].

وكانت الخدمة العسكرية تفرض على جميع رعايا الدولة، إلا أن رعايا الحجاز واليمن كانوا ممن شملهم العفو من الخدمة العسكرية، حيث كانت الجيوش التي ترسل إلى اليمن تشتمل على جميع الأجناس عدا اليمنيين حتى تشكيل إسماعيل حقي باشا لفرق الجندارمة من رعايا اليمن(1878م/1295ه). وقد قامت هذه الفرق بدور مهم في إخماد الفتن وحركات التمرد في مختلف أنحاء عسير. وقد سخرت الدولة العثمانية كافة إمكاناتها لخدمة جيوشها في تلك المناطق البعيدة عن مركزها حتى يمكنها أداء مهامها الأمنية والعسكرية على الوجه الأكمل، فحرصت على توفير مرتبات الجنود، ومعاشات المتوفيين منهم لذويهم، ومكافئة وترقية الذين يقدمون خدمات جليلة للدولة، ومحاسبة المقصرين منهم، كما أقامت في عسير مستشفى عسكرياً لخدمة جنودها ورعاياها هناك[119].

الوضع الاقتصادي:

على الرغم من أن حركة التجارة العالمية عبر مضيق باب المندب والتنافس بين الدول الأوروبية على السيطرة على حركة الاقتصاد الدولي وراء ما شهدته اليمن من صراعات خلال القرن 19م، وحتى أواسط القرن 20م - إلا أن الوضع الاقتصادي لولاية اليمن عموماً و متصرفية عسير على وجه الخصوص - كان يمر بأزمات خانقة من وقت لآخر. وقد ساعد على تأزم الوضع الاقتصادي المتردي لعسير خلال العصر العثماني، عدة عوامل يأتي على رأسها عمليات الحصار الاقتصادي التي كانت تقوم به بريطانيا وإيطاليا ضد الدولة العثمانية، وتهريب الأسلحة والمؤن والذخائر للقبائل الخارجة على الدولة، قطع القبائل الخارجة لطرق قوافل الإمدادات العثمانية والاستيلاء عليها، وحركات العصيان التي لم تتوقف في مختلف أنحاء عسير براً وبحراً؛ مما منع وصول الإمدادات لمركز المتصرفية، علاوة على المجاعات والأوبئة التي كانت يبلى بها أهالي عسير من وقت لآخر[120].

ومن ناحية أخرى، فقد حافظ النظام الاقتصادي القبلي على تماسكه في عسير إلى حد بعيد. فكان لكل قرية أو قبيلة بيت مال خاص يحوى عشر الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية، حيث كان أعضاء مجلس القبيلة يختارون أحد الأمناء العدول من أبناء القبيلة؛ ليقوم بمهمة جباية العشور، كما كان يُختار شخص آخر ليقوم بمهمة توزيع الجبايات الاجتماعية داخل القبيلة. وكانت تدفع من هذه العشور الديات، وكفالة الأرامل، ومساعدة الفقراء، وشراء

الأسلحة لحماية القبيلة[121].

وكانت متصرفية عسير تمر بأزمات مالية واقتصادية خانقة من وقت لآخر، حتى أنها لم تكن تستطيع دفع مرتبات ولا ذخائر الجنود وموظفي المتصرفية الدورية، وقد زادت هذه الأزمات خلال الحرب العالمية الأولى[122].

الخاتمة:

بلاد عسير تمثل منطقة إستراتيجية مهمة، وقد استشعرت الدولة العثمانية أهميتها؛ ولذلك قامت بالسيطرة عليها؛ لتأمين حماية المقدسات الإسلامية، ولتسهيل وصول قواتها لبلاد اليمن.

ومن خلال سيطرة الدولة العثمانية على عسير، أو غيرها من مناطق الوطن العربي – فإنه يحسب لها وقوفها في وجه الاستعمار؛ مما جعل الدول الاستعمارية تحاول جاهدة القضاء على الدولة العثمانية بشتى الوسائل.

من النتائج التي خرجت بها الدراسة:

1. قوة الأمير محمد بن عائض والتي أغرته بمهاجمة ولاية الدولة العثمانية.
2. الأوضاع الداخلية في منطقة عسير قبل مجيء الحملة والتي شجعت العثمانيين على إرسال تلك الحملة.
3. أن المواجهات كانت بين حكام عسير والدولة العثمانية منذ البداية.
4. الخلل الذي اعترى تنظيمات جيوش ابن عائض والذي أدى في نهاية الأمر لهزيمتها.
5. الدور الذي لعبته الخيانة من بعض مشايخ عسير لابن عائض في قلب موازين المعركة.

كما توصي الدراسة بإنشاء مركز متكامل لحفظ وثائق ومخطوطات منطقة عسير، في منطقة عسير، ليستفيد منها أبناء المنطقة في التعرف على تاريخ بلادهم، والإفادة منه في أبحاثهم عن المنطقة.

الهوامش:

1. رضوان، نبيل عبد الحي، الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس، (1286-1326هـ/1869-1908م)، الطبعة الأولى، جدة، 1995م، ص24ومابعدها.
2. مفرح، سعيد محمد، الإدارة العثمانية في متصرفية عسير، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض، 1417هـ مقدمة البحث.
3. محمود شاكر، شبه جزيرة العرب(عسير)، دمشق، 1976م، ص12.

4. أبي القاسم عبيد الله بن عبدالله بن خرداذبة، المسالك والممالك، ط2، بغداد، د ت، ص 133؛ كذا انظر. عبد الواحد محمد راغب، البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران، ج1، ط 1، د ن، 1995م، ص 19.
5. يقول الهمداني: «... ويصالي قصبة جرش أوطان حزيمة من عنز ثم يواطن حزيمة من شاميها عسير قبائل من عنز وعسير يمانية تنزرت، ودخلت في عنز فأوطان عسير إلى رأس تيه، وهي عقبة من أشراف تهامة...»: الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد على الأكوع، الرياض 1974، ص250.
6. هاشم سعيد النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، إصدارات النادي الأدبي، ص16.
7. محمود شاكر، شبة جزيرة العرب «عسير»، ص 12.
8. آل فائع، أحمد يحيى، دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها(1215-1233ه)، ط 1، د ن 2006م، ص 22.
9. شاكر، عسير، ص. 13؛ النعمي، تاريخ عسير، ص 16، حمزة في بلاد عسير، ص 87، شرف بن عبد المحسن البركاتي، الرحلة اليمانية، بيروت، 2007م، ص 127، عبدالله بن علي ابن مسفر، السراج المنير في سيرة أمراء عسير، مؤسسة الرسالة، د ت، ص 11.
10. النعمي، تاريخ عسير، ص 16؛ يختصر فؤاد حمزة امتداد منطقة عسير فيذكر أنها تمتد من ظهران إلى زهران في بلاد عسير، ص. 87.
11. البركاتي، الرحلة اليمانية، ص. 127؛ ويفصل ابن مسفر هذه الحدود على النحو التالي: وبلادِ عسير تبتديء شمالاً من الليث فبلاد زهران وشمران إلى حدود وادي رنية، وجنوباً من ميناء الحديدة والمخا فبلاد رازح ووادعة إلى سحار الشام فبلاد همدانٍ وصعدة وحاشد، وتنتهي في الجنوب الشرقي بوادي الفرع ووادي صلة، وشرقاً وادي الدواسر إلى ماء عقيلان فحدود بيشة، وغرباً البحر الأحمر. وابن مسفر في تحديده هذا يعتمد على اتساع رقعة البلاد في عهد آل عائض: انظر، السراج المنير في سيرة أمراء عسير، ص 11.
12. الحسن بن أحمد عاكش، الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين محمد بن عائض، تحقيق عبدالله بن حميد، د ط 1978م، ص 9.
13. مفرح، الإدارة العثمانية في متصرفية عسير، ص 31.
14. وهبة، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، ط 3، القاهرة، دار الأفاق العربية، 1375ه، ص 36.

15. شاكر، عسير، ص 13.
16. عسيري، عسير، ص 54، 55، 58، 59. ولتفصيلات أكثر عن جغرافية منطقة عسير انظر: هاري سانت جون فليبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج1-2، تعريب حسن مصطفى، راجعه وعلق عليه غيثان بن علي بن جريس، مكتبة العبيكان 2005، وكذلك موريس تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، تعريب محمد آل زلفة، د.ط، مطابع الشريف، 1993م.
17. عسيري، عسير، ص 60؛ يذكر عاكش في الدر الثمين(ص11) أنها منطقة جبلية يزيد عن علوها 3000م.
18. عاكش، الدر الثمين، ص 12.
19. الشهري، التجارة في متصرفية عسير، ص 24، 26.
20. بتار ولد العربي ولد معط الله، الحياة الاجتماعية في اليمن القديم، مجلة الفسطاط التاريخية.
21. شاكر، عسير، ص 56.
22. آل زلفة، دراسات من تاريخ عسير، ص 152، الشهري، زهير، التجارة في متصرفية، ص40 هريدي، صلاح أحمد، عسير تحت الحكم العثماني(1289-1336ه/1872-1914م)، 1995م، ص 71.
23. شاكر، عسير، ص 56، حمزة، في بلاد عسير، ص 101، النعمي، تاريخ عسير، ص 70، 71، 72.

الحربي، علي إبراهيم بن ناصر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية(منطقة عسير) ج 1، د ط، أبها 1418ه، ص 90، 91، هريدي، عسير تحت الحكم العثماني، ص 96، 97، 98؛ Cornwalis،op،cit،p44،45.

24. النعمي، تاريخ عسير، ص 103، عسيري، عسير، ص 104، هريدي، عسير تحت الحكم العثماني، ص107،108، عسيري، عسير، ص 105. Cornwalis،op،cit،p38
25. Cornwalis،op،cit،p24،25،26

في تهامة كانت الضرائب تُجبي من كل الساكنين من بني عبس في جنوب زبيد في الشمال باستثناء القبائل الموالية للأتراك من بني يعلة، وبني زيد حول القنفذة. وفي المناطق الداخلية كانت تُجبي من كل قبائل قحطان والريش، وآل موسى و باللسمر، وبني عمرو وبلقرن وربيعة التهايم، وقبائل البرك عندما كان تأثير الأتراك هناك ضعيفا، بني مروان: مثلاً على طول الساحل، وإلى داخل الأراضي وصولا حتى المرتفعات كانوا موالين

للإدريسي، ثم أصبحت لديهم مشكلات معه منذ أن قبل المساعدة من ايطاليا، وأرسل غزوة تأديبية لهم، انظر. Cornwalis،op،cit،p24.، يقوم الأتراك بجمع الضرائب عن بني زيد، وبني يعلة حول القنفذة، وعن بني مغيد علقم الهول، وبني مالك وربيعة ورفيدة وشهران، ورفيدة اليمن حول أبها. ولا تتوفر لدينا تفاصيل، ولكن هناك من يقول إنها لم تكن قاسية، وبعض القبائل مثل رجال ألمع وشهران وظهران، والوحدات القبلية الأخرى الأصغر- كانت معتادة على دفع الضرائب إلى كبار شيوخها. وكانت هذه جزئيا تهدف إلى تمكين زعمائهم من الوفاء بالكثير من الدعوات التي كانت تقام بسبب كرم ضيافتهم، ولكن وبشكل رئيس كانت تهدف إلى إنشاء احتياطي من مشتريات البنادق والذخائر في حالات الحرب؛ فكانت مستقلة لا تميل لطرف إلا حسب مصالحها. انظر. Cornwalis،op،cit،p24،25،26

26. الحميد، عبد اللطيف محمد، البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى ط1، الرياض، 1994م، ص 27،
27. بتار ولد العربي ولد معط الله، الحياة الاجتماعية في اليمن القديم، مجلة الفسطاط التاريخية.
28. عسيري، عسير، ص 117، 119.
29. العقيلي، مذكرات سليمان باشا متصرف عسير، ص 20.
30. عسيري، عسير، ص 113، 114. وكذلك هناك مجلس القبيلة الذي يتكون من نواب القرى، أو رؤساء العشائر، ويختلف هؤلاء النواب في الأهمية؛ فهناك نائب عام لكل عشيرة، ويساعده مجموعة من نواب الفخوذ، فإذا وقعت مشكلة في داخل أحد الفخوذ تحل بواسطة النائب، وإذا استعصى حل المشكلة ترفع لنائب العشيرة الذي يبذل جهوده لحل هذه القضية، وإذا لم يوفق في حل هذه القضية يرفعها بدوره لشيخ القبيلة الذي يطلب أطراف القضية، ويناقشها معهم، ثم يحلها الحل المناسب.
31. عسيري، عسير، ص 110، 111، هريدي، عسير تحت الحكم العثماني، ص 112، 113.
32. البيشي، جملاء حجاب، موقف القوى المحلية تجاه الحكم العثماني في متصرفية عسير(1289-1337ه/1872-1918م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك خالد، 2014م، ص 16.
33. النعمي، تاريخ عسير، ص 212. بعد نهاية إمارة آل المتحمي في عسير استمرت أحوال عسير في فوضى واضطراب ما بين فتن قبلية، وحروب متلاحقة من جانب قوات محمد علي في الحجاز، وفي هذه الفترة كانت عسير تعدُّ تابعة لإمارة مكة

المكرمة، وكان الشريف محمد بن عون أميراً على الحجاز وعسير، فعيِّن من قبله أميراً على عسير هو الشريف هزاع، ووضع له حامية في طبب، ولكن بعد أن طفح الكيل بأهل عسير من هذه التبعية، ثار سعيد بن مسلط على حامية الشريف واتخذ من السقا عاصمة لإمارته. انظر النعمي، تاريخ عسير، ص 207، 208.

34. آل زلفة، دراسات من تاريخ عسير الحديث، ص 37. أخذ الأمير علي بن مجثل في ممارسة سياسته العشائرية في عسير بما عرف عنه من الدهاء والحزم، وقد جمع قلوب أهل عسير على محبته فبايعوه عن رضا، وقد كان يعمل في الشؤون الحكومية أثناء حكم ابن عمه سعيد بن مسلط. انظر آل زلفة، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص 115.

35. ابن بشر، عنوان المجد، ج2، ص 68، النعمي، تاريخ عسير، ص 231....256.

36. عسيري، عسير، 174، الشهري عبد الهادي، الحروب التركية، ص 140، شاكر، عسير ص 199.

37. عسيري، عسير، ص 172، النعمي، تاريخ عسير، ص 256.

38. النعمي، تاريخ عسير، ص 268.

39. ابن مسفر، السراج المنير، ص 97.

40. عسيري، عسير، ص 180، 181، 255، 293، 366، عاكش، الدر الثمين، ص 60، الشهري عبد الهادي الحروب التركية في المنطقة الجنوبية، ص 166، العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج1، ص 576.

41. عسيري، عسير، ص 360.

42. البيشي، موقف القوى المحلية تجاه الحكم العثماني في متصرفية عسير، ص18.

43. حراز، رجب، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب 1840-1909م، القاهرة، 1970م، ص 85.

44. أباظة، الحكم العثماني في اليمن، ص 20، 21.

45. أباظة، الحكم العثماني في اليمن، ص 35، 36.

46. بخصوص الفعاليات الأوروبية في سواحل اليمن خلال الربع الأخير من القرن 19، انظر: Ahmet Kavas، «DoğuAfrıkaSahılındeOsmanlıH akimiyeti: KuzeySomali>deZeylaİslelesininKonumu(12 İslam AraştırmaDergisi، sayı 5.، ،«(1916-1849/1334-65

117-2001، s.116

47. فيما يتعلق بالمساعدات التي كان يقدمها الإنجليز في عدن لمشايخ اليمن انظر: İhsanSüreyaSırma، OsmanlıDeveletininYıkılışında Yemen Isyanları،İstanbul 1980، s.88-92، العبدلي، أحمد فضل، في أخبار ملوك لحج وعدن، د ط، القاهرة، 1351ه، ص 147..205.

48. أباظة، الحكم العثماني في اليمن، ص 132، 133.

49. حاولت انجلترا السيطرة على العشائر المحلية باليمن ببذل الأموال، وذلك سعياً منها لتأمين قوافل تجارتها البحرية عبر عدن ولإيجاد منطقة موالية لها يمكنها التصدي لتدخلات أعدائها: أباظة، الحكم العثماني في اليمن، ص 147، كذا انظر ابراهيم محمد حسن، البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى(1914-1918م) ط1، الهرم، 1998م، ص 71،22.

50. بخصوص الأطماع الأوروبية في اليمن انظر: Sırma، Yemen Isyanları، s.85-86

51. أباظة، فاروق عثمان، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر(1839-1918م)، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م، ص 135.

52. آل زلفة، علاقة عسير والحجاز ونجد واليمن بالإمبراطورية العثمانية، ص214.

53. عسيري، عسير، ص 361؛ آل زلفة، علاقة عسير والحجاز ونجد واليمن بالإمبراطورية العثمانية، ص214.

54. عسيري، عسير، ص367،366.

55. عسيري، عسير، ص 361، آل زلفة، علاقة عسير والحجاز ونجد واليمن بالإمبراطورية العثمانية، ص214؛ ابن مسفر، أخبار عسير، ص117.

56. عسيري، عسير، ص 361، العقيلي، تاريخ المخلاف، ج1، ص547.

57. عسيري، عسير، ص 227.

58. الشهري، الحروب التركية، ص185؛ آلاي راشد، الحملة العثمانية على عسير، ص 18؛ آل زلفة، علاقة عسير والحجاز ونجد واليمن بالإمبراطورية العثمانية، ص223.

59. عسيري، عسير، ص 139.

60. النعمي، تاريخ عسير، ص 207.

61. أباظة، الحكم العثماني في اليمن، ص 81، ويخالفه عسيري في السنة فيقول 1287ه عسيري، عسير، ص 181.

62. عسيري، عسير، ص 323، 324، عاكش، الدر الثمين، ص 44، أباظة، الحكم العثماني، ص 73.
63. عاكش، الدر الثمين، ص 45؛ العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج1، ص574.
64. عسيري، عسير، ص 326.
65. عسيري، عسير، ص328، 329؛ عاكش، الدر الثمين، ص53.
66. العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج1، ص558.
67. عسيري، عسير، ص، 332، 333؛ عاكش، الدر، ص60، النعمي، تاريخ عسير، ص204.
68. عسيري، عسير، ص334.
69. شاكر، عسير، ص 210.
70. ابن مسفر، السراج المنير، ص 93، رميض، إمارة عسير، ص93.
71. النعمي، تاريخ عسير، ص 268؛ عاكش، الدر الثمين، ص 65.
72. الكبسي، محمد بن إسماعيل، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، مخطوط ميكروفيلم موجود بقسم المخطوطات جامعة الملك سعود، تحت رقم 2242، ص 111، الجميعي، عسير خلال قرنين، ص 19.
73. أباظة، الحكم العثماني في اليمن، ص 85، 86، 87.
74. صابان، سهيل، مراسلات الباب العالي إلى ولاية الحجاز(1283-1291ه)، د ط، مكة، 2004م، وثيقة منشورة، ص 239 – 240.
75. لم نجد أي معلومات عن هذا القائد، ولكنه بدون شك اختير لتميزه لقيادة هذه الحملة الكبيرة والتي تعد الأكبر في تاريخ الحملات العسكرية التي وجهتها الدولة العثمانية إلى الجزيرة العربية في تاريخها الحديث، راشد، الأمير آلاي أحمد الحملة العثمانية على عسير(1288ه/1872م) تحرير وتعليق، محمد آل زلفة، د ط، الرياض، ص 34.
76. أحمد مختار باشا، من مواليد بورسا، وخريج الكلية الحربية عام 1860م(1277ه). ارتقى في السلك الوظيفي العسكري، وحصل على الرتب العالية على الرغم من صغر سنه مقارنة بزملائه. قام بالعديد من المهام العسكرية القيادية في مختلف نواحي الدولة العثمانية. ومنها توجهه إلى اليمن وعسير لإخماد الثورة التي نشبت فيها، كان من نتيجتها تحويل اليمن إلى ولاية، وتوجيه ولايتها وقيادتها إليه برتبة مشير. وكان عمره آنذاك اثنتين وثلاثين سنة. وبقي فيها سنتين وخمسة أشهر(1288ه/1871م). ثم

عين قائداً لبعض القطاعات العسكرية في مناطق أخرى. للمزيد عن سيرة أحمد باشا انظر. صابان، سهيل، الجزيرة العربية بحوث ودراسات من وثائق الأرشيف العثماني والمصادر التركية، إصدارات مكتبة الملك فهد الوطنية، 2005م، ص 173.

77. شاكر، عسير، ص 210.

78. عسيري، عسير، ص 362؛ شاكر، عسير، ص 212.

79. آلاي راشد، الحملة العثمانية على عسير، ص37؛ آل زلفة، علاقة عسير والحجاز ونجد واليمن بالإمبراطورية العثمانية، ص223.

80. هو عمر بن عبدالله الكناني شيخ حلي، وهو ممن تعاون مع العثمانيين وأمدهم بالجمال التي يحتاجونها حتى تكمل الحملة مسيرتها، انظر. آلاي راشد،الحملة العثمانية على عسير، ص 21.

81. عسيري، عسير، ص362؛ النعمي، تاريخ عسير، ص212.

82. آلاي راشد، الحملة العثمانية على عسير، ص38.

83. عسيري، عسير، ص362؛ آل زلفة، علاقة عسير والحجاز ونجد واليمن بالإمبراطورية العثمانية، ص225.

84. فايز بن غرم العسبلي، هو شيخ قبيلة بني شهر، وجد للشريف عبدالله بن محمد لأمه، وكان من ضمن الأسرى الذين أرسلهم رديف باشا إلى الآستانة بعد أن سيطر على بلاد عسير، وظل في الآستانة حوالي خمس سنوات ثم رجع إلى مدينة النماص في بلاد بني شهر، للمزيد انظر، جريس، غيثان علي، بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين(19-20م)، الطبعة الثانية أبها، 2008م، ص 93ومابعدها.

85. عسيري، عسير، ص362.

86. عسيري، عسير، ص363؛ آلاي راشد، الحملة العثمانية على عسير، ص 41.

87. عسيري، عسير، ص 362، للإطلاع على نص منشور رديف باشا انظر. الجميعي، عسير خلال قرنين، ص 92 – 93.

88. آل زلفة، علاقة عسير والحجاز ونجد واليمن بالإمبراطورية العثمانية، ص229.

89. الشيخ حسن بن هيازع بن زعبان البارقي وهو شيخ شمل قبائل بارق عاش بين القرنين الثالث عشر، وبداية الرابع عشر الهجري، انظر. البارقي، أحمد مريف، قبائل بارق المعاصرة(من العصر لجاهلي إلى العصر الحديث) ط1، الرياض، 2010م، ص130.

90. آلاي راشد، الحملة العثمانية على عسير، ص43.44، عسيري، عسير،

ص364.

91. محائل تقع على أحد روافد حلي، يسمى وادي تيه الذي تقع بطرفه من الشمال، وتبعد عن البحر حوالي 120كيلو متر للمزيد انظر البلادي، عاتق بن غيث، بين مكة واليمن، رحلات ومشاهدات، مكة، 1984م، ص 310،311.

92. عقبة الصماء تصل رجال ألمع بالسراة، وكان عبورها شاق على الأهالي، الشهري، التجارة في، ص 77.

93. عسيري، عسير، ص364،365، شاكر، عسير، ص213، آل زلفة، علاقة عسير والحجاز ونجد واليمن بالإمبراطورية العثمانية، ص231.

94. عسيري، عسير، ص365؛ آل زلفة، علاقة عسير والحجاز ونجد واليمن بالإمبراطورية العثمانية، ص234،233، آلاي راشد، الحملة العثمانية على عسير، ص49،48؛ شاكر، عسير، ص 214.

95. آل زلفة، علاقة عسير والحجاز ونجد واليمن بالإمبراطورية العثمانية، ص234، شاكر، عسير، ص 213.

96. عسيري، عسير، ص367؛ النعمي، تاريخ عسير، ص214.

97. الحفير معقل من معاقل بلدة السقا، ويطل على ريدة من جهة السقا الغربية، وبه عدد من حصون أمراء عسير، انظر. آل قطب، الأمراء اليزيديون، ص 80.

98. عسيري، عسير، ص 368؛ آل زلفة، علاقة عسير والحجاز ونجد واليمن بالإمبراطورية العثمانية، ص 236،237؛ آلاي راشد، الحملة العثمانية على عسير، ص 55.

99. عسيري، عسير، ص368؛ شاكر، عسير، ص 214.

100. النعمي، تاريخ عسير، ص 281، آل زلفة، علاقة عسير والحجاز ونجد واليمن بالإمبراطورية العثمانية، ص 238.

101. ريدة مدينة حصينة تقع إلى الغرب من مدينة أبها، وتتميز بخصوبة أرضها، وجمال طبيعتها وكانت الملجأ لأمراء عسير إذا حلت بهم الهزيمة، انظر. آل قطب، الأمراء اليزيديون، ص90.

102. عسيري، عسير، ص 370؛ آلاي راشد، الحملة العثمانية على عسير، ص61،62؛ شاكر،عسير، ص 216.

103. آلاي راشد، الحملة العثمانية على عسير، ص 61،62.

104. العرشي، بلوغ المرام، ص 76،عسيري، عسير، ص 370؛ آلاي راشد، الحملة العثمانية على عسير، ص67، شاكر، عسير، ص 216.

105. عسيري، عسير، ص 371، آلاي راشد، الحملة العثمانية على عسير، ص82.
106. النعمي، تاريخ عسير، ص 283، عسيري، عسير، ص 371.
107. الحفظي، تاريخ عسير، ص 136 – النعمي، تاريخ عسير، ص 284؛ شاكر، عسير، ص 217 هريدي عسير تحت الحكم العثماني، ص 43 – 44، آل زلفة، علاقة عسير والحجاز ونجد واليمن بالإمبراطورية العثمانية، ص 243. – عسيري، عسير، ص –374 375 – 376__ابن مسفر، السراج المنير، ص 104 – العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج 1، ص 549 أباظة، الحكم لعثماني، ص ٨٤.
108. آلاي راشد، الحملة العثمانية على عسير، ص 78.
109. الداوود، الحياة الاجتماعية في متصرفية عسير، ص 43.
110. مفرح، الإدارة العثمانية في متصرفية عسير، ص 31.
111. النعمي، تاريخ عسير، ص 285.
112. ابن مسفر، السراج المنير، ص 132، جريس، بلاد بني شهر وبني عمرو، ص 127، الداوود، الحياة الاجتماعية في متصرفية عسير(1288-1337ه/1872-1918م) رسالة دكتوراه، كلية الآداب، الرياض، 1995م، ص 22، العارف، يوسف حسن العثمانيون وحكومة الأدارسة في عسير(1325-1337ه/ 1907-1918م)، ط1، جدة، 1995م، ص 45، مفرح، الإدارة في متصرفية عسير ص31. النعمي، تاريخ عسير، ص 285.
113. مفرح، الإدارة العثمانية في متصرفية عسير، ص 36، 37، 40.
114. جريس، صفحات من عسير، ج1 2، ص 73، الداوود، الحياة الاجتماعية في متصرفية عسير، ص 47، مفرح، الإدارة العثمانية في متصرفية عسير، ص 40، الشهري، التجارة في متصرفية عسير، ص 35.
115. العقيلي، مذكرات سليمان باشا، ص 62؛ مفرح، الإدارة العثمانية في متصرفية عسير، ص 59، 60،أباظة،الحكم العثماني في اليمن،ص 210، Cornwalis،op،cit،p96.
116. الداوود، الحياة الاجتماعية في متصرفية عسير، ص 47، نقلاً عن حميد وهبي يمن سالنامة سي، كتاب سنوي يصدر عن ولاية اليمن في العهد العثماني، صنعاء، 1289ه، ص 103، 105.
117. أباظة، الحكم العثماني في اليمن، ص 110.
118. آلاي راشد، الحملة العثمانية على عسير، ص 104.
119. الواسعي، عبد الواسع يحيى، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في

حوادث وتاريخ اليمن، د ط، القاهرة 1346ه، ص 310، أباظة، الحكم العثماني في اليمن، ص 113، 114؛ الداوود، الحياة الاجتماعية في متصرفية عسير، ص 49، 50.

120. الشهري، التجارة في متصرفية عسير، ص 59، 68؛ وثائق الخارجية البريطانية. 3394/No0897F5371. من المقيم السياسي في عدن إلى ريجنالدو نجيت المندوب السامي في القاهرة بتاريخ 2ديسمبر 1917م، نقلاً عن العارف، العثمانيون وحكومة الأدارسة في عسير، ص 282 وما بعدها، أباظة، الحكم العثماني، ص 126.

121. الشهري، التجارة في متصرفية عسير، ص 42، نقلاً عن محمد أرباب، الأسواق الدورية في منطقة عسير إصدارات مركز البحوث بكلية التربية جامعة الملك سعود، فرع أبها، 1997م، ص 19. الشهري، التجارة في متصرفية عسير، ص 70.